الوجدان سيرها فانه لا يحتاج الى ضرب عنانها بل ربما يستعين بها بالسوط
والعصا حتى يمر بها الى ما نزعت اليه وقد يكون عليه في ذلك تعب ومؤونة وسببها انما
هو حظوظه بها على دار هو لاها التي الفته واعتادته ولو لم يمر بها عليه لسلم ولم يحتج
الى معاناة ولا مكابرة فان تعاطى تغييرها حتى ادخلتا بدرها في عتبة الباب واستمكنتا منه
ثم اراد منعها من الدخول لم تطعه بوجه بل اقتحمت به باب الدار كرها وربما جرحت راسه
والمته وسبب ذلك انما هو تمكينها من العمل بمقتضى طبيعتها وموافقة جبلتها
وكذلك حال النفس فان النفس ان اعطيتها هواها ابا غيرة نحو هواها ولذلك كانت
الخلوة والعزلة من اوجب الواجبات على المريد فان نفسه اذ ذاك تكون ساكنة هادئة
قد نسيت عوايدها وفترت دواعيها وبواعثها على ذلك يحصل له من التزكية والتحلية
والاستقامة والطمانينة ما هو المقصود بالرياضة والمجاهدة فان اعترته شيء
مما ذكرناه اختل عليه حاله واحتاج من قبل الى الرياضة والمجاهدة الشاقة
وانى له مع ذلك تلافي ما فاته وقد قالوا وقفة المريد شر من فترته قال الامام ابو القاسم
القشيري رضي الله عنه والفرق بين الفترة والوقفة ان الفترة رجوع عن الارادة وخروج
منها والوقفة ان الفترة رجوع عن الارادة وخروج منها والوقفة سكون عن السير
باستحلاء احوال الكسل وكل مريد وقف في ابتداء ارادته لا يجيء منه انتهى كلامه
رحمه الله فبدايات الامور هي التي يجب ان يراعيها المريد والله ولي التوفيق والتسديد
ولا غنا للمريد في القسم من تحصيل ما يحتاج اليه من العلوم الشرعية على ما ينبغي
وعمل الباطن يرجع حاصله الى امر واحد وهو اخلاص التوحيد لله عز وجل باعتقاد
العبودية له وذلك بان يحمل نفسه على الاستسلام لاحكام الله تعالى وترك المنازعة
والتدبير والاختيار بين يديه وهذا المعنى هو الذي ضمنه المؤلف رحمه الله كتابه التنوير
في اسقاط التدبير فليستشعر المريد على ذلك به ولا يقصد برياضته ومجاهدته
التوصل الى شيء من الكرامات وخرق العوايد وانواع الاجابات فان ذلك فتنة
وبلية قاطع عليه طريق العبودية قال ابو عمر المغربي رضي الله عنه من اختار
الخلوة على الصحبة ينبغي ان يكون خاليا من جميع الاذكار الا ذكر ربه وخاليا
من جميع الارادات الا رضى ربه وخاليا من مطالبة النفس من جميع الاسباب
وان يكون بهذه الصفة فان خلوته توقعه في فتنة او بلية وقال الشيخ ابو عبد الله

القرشي

١٢٦

القرشي رضي الله عنه من عمل الجوارح ولم يفتح له بشيء حتى يكون قصده تحقيق العبودية
والقيام بما يجب عليه من حقوق الربوبية قال صاحب كتاب عوارف المعارف من
دخل عليه الشيطان وسول له انواع الطغيان وامتلأ من الغرور والمحال وظن انه حصل على
حسن الحال قال وقد دخلت الفتنة على قوم دخلوا الخلوة من غير شرطها واقبلوا على
ذكر من الاذكار واستجوا نفوسهم بالعزلة عن الخلق ومنعوا النفوس عن الخوض كفعل
الرهابين والبراهمة والفلاسفة والوحدة في جمع الهم لها تاثير في صفاء الباطن مطلقا فكلما
كان ذلك بحسن سياسة الشرع وصدق المتابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم
انتج تنوير القلب بالزهد في الدنيا وحلاوة الذكر والمعاملة لله بالاخلاص من الصلوة
والتلاوة وغير ذلك وما كان من ذلك من غير سياسة الشرع ومتابعة
رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتج صفاء في النفس يستعان به على اكتساب
على علوم رياضية مما يعتني به الفلاسفة والرهبان وكلما اكثر القوم من ذلك
كثر البعد من الله ولا يزال المقبل على ذلك يغويه الشيطان بما يكتسبه من العلوم
الرياضية ربما قد يترايا له من صدق الخاطر وغير ذلك حتى يركن اليه كل الركون
ويظن انه قد فاز بالمقصود من الخلوة ولا يعلم ان هذا القدر من العابرة غير ممنوع
من النصارى والبراهمة وليستا هي المقصود بالخلوة يقول بعضهم الخوبرين منك
الاستقامة وانت تطلب الكرامة وقد يفتح على الصادقين بشيء من خرق العادات
وصدق الفراسة وتبين ما سيجري في المستقبل وقد يفتح عليهم في ذلك
ولا يفرح في حالهم عدم ذلك وانما يفرح في حالهم الانحراف عن حد الاستقامة ومما
يفتح ذلك على الصادقين يصير سببا للمزيد بعده والداعي لهم الى صدق المجاهدة
والمعاملة والزهد في الدنيا والتخلق بالاخلاق الحميدة وما يفتح من ذلك على من ليس
سياسة الشرع يصير سببا المزيد بعده وغروره وحماقته واستطالته على
الناس وازدرائه بالخلق ولا يزال به حتى يخلع ربقة الاسلام من عنقه وينكر الحدود
والاحكام والحلال والحرام ويظن ان المقصود من العبادات ذكر الله تعالى وترك
متابعة الرسول ثم يتدرج من ذلك الى تلحد وتزندق ونعوذ بالله من الضلال
وقد تلوح للاقوام خيالات يظنونها واقع ويسمونها بوقايع المشايخ من غير
علم بحقيقة ذلك انتهى كلامه رحمه الله وهو في غاية الحسن ونهاية التحقيق والله

Copyright © King Saud University